الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الشُّعراء غير المسلمين "مُقاربة نقديَّة نصِّية"

الأستاذ الدكتور
أحمد حيَّاوي السعد
كلية الآداب ـ جامعة البصرة
dr.ahmedalsaad@yahoo.com

مدخل أوَّلي للمُقاربة:

ليس في تأريخ هذه الدنيا نهضة هزَّت العالم، ومجَّدت الحق، وسجَّلت فخراً للإنسان مثل نهضة الإمام الحسين عليه السلام، فجميع فصولها نُور، وكل آفاقها شرفٌ ومجد. وقد حفلت بالدروس الخالدة عن العقيدة التي لا تَضعف، والإيمان الذي لا يُقهر، والإباء الذي لا يُذل. وقد فتحت لأمم العالم وشعوب الأرض عصراً جديداً اتسم بروح النَّهضة، والتمرد على الظلم، ومقاومة الاضطهاد، ومناهضة الفساد. ومن هنا راح أدباء وفلاسفة وكتَّاب ورجال سياسة يتمجَّدون بالحسين ويتمنونه لو كان منهم؛ ليجعلوا منه رمزاً مقدَّساً، ومشعلاً للثوار، يستلهمون منه العزيمة للمواصلة والاستمرارية، ورفض الباطل بكل أشكاله. وهذا ما عبَّر عنه **المفكر المسيحي المعاصر أنطوان بارا** بقوله: **(لو كان الحسين منَّا لنشرنا لهُ في كلِّ أرضٍ رايةً، ولَأقمنا لهُ في كلِّ أرضٍ منبراً، ولَدعونا الناس إلى المسيحيَّة باسم الحسين)***.

وغني عن البيان أنَّ البشريَّة عبر تأريخها الطويل، القديم والحديث والمعاصر، قد شهدت بروزَ ثوراتٍ كثيرة في مختلف أصقاع المعمورة، إلاَّ أنَّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام تبقى الثورة الخالدة المتجددة؛ لأنَّها حفظت للإنسان دينَهُ وكرامتَهُ وحريَّتَهُ، وقد صدق الشاعر حين قال[1]:

كَـــذِبَ المـــوتُ فالحســـينُ مُخلَّـــدْ كلَّمـــا أقـــدمَ الزَّمـــانُ تَجَـــدَّدْ

ومن معطيات الثورة الحسينيَّة أنَّها فجَّرت المواهب والعبقريات، فبرزت طاقات هائلة من الأدب الرفيع في طليعة الأدب العالمي رقَّةً وروعةً وجمالاً. فما من أدب منثور أو منظوم لشعوب الكرة الأرضيَّة إلاَّ والقضيَّة الحسينيَّة حاضرة فيه، ومَنْ يطَّلع على باب الأدب المنظوم من **(دائرة المعارف الحسينيَّة) للمحقق الفقيه الدكتور محمد صادق الكرباسي**، يؤمن

إيماناً راسخاً أنَّ الإمام الحسين عليه السلام دخل في ضمير كلّ أمّةٍ ومجتمعٍ على وجه الأرض، قديمها وحاضرها، فعدد الأجزاء المطبوعة من الموسوعة الحسينيَّة المتعلقة بالنَّظم الحسيني العربي فقط منذ القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري بلغ (٢١) مجلَّداً لشعراء من أقطار الأرض، وأضعافها من المجلَّدات المخطوطة لشعراء القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وهي في طور التدقيق والتحقيق، ناهيك عن الشعر الحسيني باللغات الأخرى، وبخاصة الفارسيَّة والأردويَّة والبشتويَّة والتركيَّة والإنكليزيَّة، التي صدر منها حتى الآن أكثر من عشر أجزاء. وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يُبرهن على أنَّ الظاهرة لم تقتصر على الموالين لأهل البيت، وليست هي خاصَّة بالعراق الأرض التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام، بل أنَّ الحدود الجغرافيَّة والمذهبيَّة والعرقيَّة والدينيَّة مع الظاهرة الحسينيَّة معدومة. وعليه فإنَّ شعراء الحسين كانوا من مختلف المذاهب الإسلاميَّة، بل ومن أديان أخرى؛ لأنَّ مأساة كربلاء تُلامس ضميرَ كلّ إنسانٍ مُنصف، والضمير الإنساني الذي قد يُصيبهُ الصَّدأ بحاجة إلى صقله بين فترة وأخرى، والنَّهضة الحسينيَّة لها جدواها في هذا المُقام؛ لأنَّ دراسة الشعر الحُسيني تكشف عن كنوز من القيم الخُلقيَّة السَّامية التي تحتاج إليها شعوبنا لإصلاح أُمورها، والاعتبار ممَّا جرى لرموزها وقادتها المُصلحين. ومن هنا ليس غريباً - أبداً - حينما يبوح **المهاتما غاندي** قائد أعظم ثورات التأريخ المعاصر، بأنَّهُ نهلَ دروساً في التحرر من أبي الأحرار عليه السلام بقوله: **(تعلَّمتُ من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر)**[٢].

الإمام الحسين عليه السلام وأثره في الآخر:

لم يكن الشعر العربي الذي حلَّق في فلك الإمام الحسين عليه السلام نتاج شعراء الإسلام فقط، بل كان لغير المسلمين بوحٌ شعري عبَّروا به عن عظيم تقديرهم؛ لإنسانيَّة الإمام الحسين عليه السلام العالية وإقدامه وشجاعته ورفضه الخضوع أمام الطُّغاة. وقد لا نعدو الحق إذا قلنا: إنَّه لم تَنل شخصيَّة في التأريخ الإنساني بأسره من العطاء الأدبي ما نالته شخصية الإمام الحسين عليه السلام. ولا عجب؛ لأنَّ الإمام الحسين عليه السلام شخصيَّة عالميَّة، ولهذا كانت محط وقفات الأدباء من مختلف الأزمنة والأمكنة، والجنسيات والأديان. وهذا ما جسَّده الشيخ الدكتور أحمد الوائلي في قوله عنه عليه السلام[٣]:

وأنـــتَ إذا مـــا اســـتبد الظـــلا ... مُ شمـــسٌ مـــدى الـــدَّهر لم تغـــربِ
وأنـــتَ السَّـــدادُ وأنـــتَ الرَّشـــادُ ... وأنـــتَ الـــنزوعُ إلى الأصـــوبِ

لقد أكسبت ثورة الإمام الحسين عليه السلام الأدب رفعةً ومجداً، ونستشف عظمتها عند الآخر وهو يجعلها قنديلَ مسارٍ للباحثين عن القيم الفضيلة، ومن هنا تأتي صورها الحسيَّة عند الشعراء من غير المسلمين معبَّأة بمضامينها وموقفها النبيل عبر طريقة صنْعها القائمة على التذكُّر لموقف الصُّمود الحُسيني، واستحضار الماضي بسياق تداعي الأفكار، التي تُثير المشاعر عبر الصور المتلاحقة عن طريق وساطة من ذاكرة اللاوعي الجمعي. وهذا ما نلمسه عند الشاعر المسيحي الأرثوذكسي **خليل الخوري** في قصيدته **(إنّ الحسين أبي)**، إذْ يصرُّ على الحضور الأبدي للإمام الحسين عليه السلام، وما عداه فكل حضور زائل[٤]:

كـــلُّ حضـــورٍ إلى صـــمت وزائلـــه ... وأنـــتَ أنـــتَ حضـــور النـــور لم يغـــبِ
بـــأيِّ وجهيـــكَ تعتـــزُّ الســـماءُ إذن ... وجـــهِ ابـــنِ أكـــرمِهم؟ أم وجهِـــك التـــربِ؟
وجـــهِ الشـــهيد الـــذي لاقـــى شـــهادته ... لقـــاءَ محـــرورةِ الصـــحراءِ بالسُّـــحبِ

ويلوِّن الشاعر الخوري صوره بالدم ليُظهر تأسِّيه وحزنه على أبي عبد الله عليه السلام، ويعكس عبر مرآة شعره التوحد مع قضيَّة الحسين عليه السلام. فقد أدَّت الصورة الحسيَّة - لديه - دلالتها المطلوبة بكلِّ دقَّة وإتْقان، ونُضيف هنا صورة حسيَّة حركيَّة أُخرى غذَّتها دلالة مفردة (عثرت)، ثمَّ لونيَّة اكتسبت الحمرة من (دم الوريد) و(دمي)[٥]:

عـــذراً أبـــا الشـــهداء الصـــيد إنْ عثـــرتْ ... بي القـــوافي فلـــم أســـهب ولم أصـــب
وكـــان حقُّـــك عنـــدي اليـــوم ملحمـــة ... دمُ الوريـــد لهـــا أو خفقـــةُ العَصـــبِ
لكـــنَّني ودمـــي يقتـــاتُ مـــن تعـــبي ... جميـــعُ عمـــري أنـــا يقتـــاتُ مـــن تعـــبي
أحـــبُّكم أنـــتمُ أهلـــي وهمُّكُـــمُ ... همِّـــي الكـــبير ألســـنا نبعـــةَ العـــربِ

فالصورة الحسيَّة، هنا، لها جذورها في عالم اللاشعور، فلا يمكن أنْ نظنَّ هذه الصورة التي أظهرها الشاعر قضية طارئة؛ لأنَّ الشاعر يحب الفكرة ويهيم بها أولاً، ومن ثم يطلق مشاعرَهُ صوبها كي يملأ كلماتَهُ بأحاسيسه، وحين يتمثل الشاعر الموقف ويحس به، تخرج الصورة مشعَّةً بصدقها الفنّي.

وتكشف لنا الصورة الأدبيَّة الحسينيَّة تأثير الموقف الحُسيني في شعر شاعر مسيحي إنساني آخر هو الشاعر **بولس سلامة** من خلال ملحمته التي كتبها عام ١٩٤٧م، بعنوان **(عيد الغدير)**، ومحورها أهل البيت النبوي الشريف في أهم الحوادث التي ارتبطت بهم إلى ختام واقعة كربلاء، نظم فيها كل ما أيقظَ وجدانَهُ، وأثارَ كوامنَ عقلهِ، باقتراح من العلاَّمة السَّيد عبد الحسين شرف الدين.

ويمضي (سلامة) في تمهيده لملحمته مُجيباً عمَّا قد يتبادر إلى أذهان قُرَّائه من استفهامات عن تصدِّي مسيحي لملحمة إسلاميَّة بحتة قائلاً: **(أجل.. أنا مسيحي، ولكن التأريخ مشاعٌ للعالمين)**[٦]. ويُضيف: **(بقيَ لك أنْ تحسبني شيعيّاً، فإذا كان التشيُّع تنقُّصاً لأشخاص، أو بُغضاً لفئات، أو تهوراً في المزالق الخطرة فلستُ كذلك. أمّا إذا كان التشيُّع حبّاً لعلي وأهل البيت الطيِّبين الأكرمين، وثورة على الظلم، وتوجعاً لِمَا حلّ بالحسين وما نزلَ بأولاده من النّكبات في مطاوي التأريخ فإنّني شيعي)**[٧]. كما نراه ينشد هذا البيت[٨]:

جَلْجَـــلَ الحـــقُّ في المســـيحيِّ حتَّـــى ... عُـــدَّ مـــن فَـــرطِ حُبِّـــهِ علويَّـــا

وسطَّر سلامة في ملحمته - التي عدَّها مجموعة كبيرة من النقاد أُنموذجاً للتجربة الشعريَّة الناضجة فنيّاً - مجموعة كبيرة من القصائد التي انطلق فيها مُمجِّداً القيم النبيلة التي نهض من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، وقدَّمَ أهلَهُ وأصحابَهُ وروحَهُ الطاهرة فداءً لها. وما يرفع القيمة الفنيَّة والأدبيَّة للملحمته، استعانته بالمصادر التاريخيَّة التي تعود معظمها إلى أهل السنة والجماعة قطعاً للظن والشُّبهات، إذْ قال في مقدمته: **(ولَمّا عزمتُ على النظم انصرفتُ إلى درس المراجع التاريخيَّة، ولكن قلّما اعتمدتُ على مؤرخي الشيعة، بل الثقات من أهل السنة والجماعة الذين عصمهم الله من فتنة الأمويين)**[٩]. وكانت قصائده ناطقة بأدق تفاصيل واقعة كربلاء، مُفصِّلة كثيراً من المعاني والمُعاناة، فكان من أبياته عنها[١٠]:

أتأســـى بـــابن البتـــول فيوليـــ ... ـــني عـــزاءً وبلســـماً معنويَّـــا
بجـــراح الحســـين في كـــلِّ جـــرح ... يجـــدُ الصـــبرُ كهفـــهُ الأزليَّـــا
إنَّمـــا الشـــاعرُ المحلِّـــقُ روْضٌ ... يـــنزعُ الأفـــقَ بالشَّـــذا العَنْبَريَّـــا

فالصورة الحسيَّة حَضَرَتْ مرئيَّة وحركيَّة وشميَّة في آنٍ واحد، أوضح الشاعر - من

خلالها - شدة تأسِّيه، فانتقل من المعقول إلى المحسوس، ومن المحسوس إلى المحسوس، رغبة في إظهار حزنهِ وألمهِ، ثمَّ أكَّد ولاءَهُ للحسين عليه السلام عبر ما يكنّه لأبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، إذْ يقول(١١):

سِـفرُ خـيرُ الأنـامِ مـن بعـدِ طـه ... مـا رأى الكـونُ مثلَـهُ آدميًّـا

يـا سمـاءُ اشـهدي ويـا أرضُ قَـرِّي ... واخشـعي إنَّـني ذكـرتُ عليًّـا

فهو عبر الصورة الحسيَّة أثبت تفرُّد الإمام علي عليه السلام بخصال لم يجدها عند الآخرين، ثمَّ شخَّص السماء بالشهادة، والأرض بالإقرار، فتحولتا إلى مخاطبتين لديه؛ لأنَّه وجد فيهما أقرب الأصحاب لسماع خباياه التي باح بها إليهما، فإذا عمَّقنا النظر في كلمات قصيدة أخرى نجد الدلالة والأسلوب اللغوي الفخم المرصَّع بالصور الحسيَّة هُوية له، فهو يقول(١٢):

حمـلَ المجـدُ خافقـاً في لوائِـهْ ... بطـلٌ ظـلَّ مفـرداً في سمائِـهْ

هـاشمي صـافي الفرنـد بـراهُ ... اللّه نصـراً لمصـطفى أنبيائِـهْ

كلَّمـا أخلـقَ الزَّمـانُ جديـداً ... أذهـلَ النـاظرينَ وهْـجُ سـنائِهْ

إنَّ اعتماد الشاعر على الضَّربة الشعريَّة المقنَّعة عبر الصورة الحسيَّة كما في (ظلَّ مُفرداً في سمائِهْ) و(أذهلَ الناظرينَ وهْجُ سنائِهْ)، تؤكد قدرة الشاعر على المزاوجة بين الأسلوب اللغوي والصورة البيانيَّة معاً، وبالصورة الحسيَّة أخرجَ لنا المفارقة الكبيرة، فكلَّما قَدِمَ الزَّمان أذهل الناظرين وهْجُ السَّنا الممتد من الحسين عليه السلام. فهناك تقادم في الزَّمان وتصاعد في الذِّكر، ثمَّ أنَّه يراهُ رمزاً لكلِّ الناظرين المتأمِّلين في قصته عليه السلام، وهذا ما يؤكده قوله(١٣):

مـن ضـواحي لبنـان خُـذها دُمُوعـاً ... مـن أماليـد أرزه وعلائِـهْ

هالـهُ مصـرع الحسـين شـهيداً ... فأتـاك الجـريحُ مـن شـعرائِهْ

وفي البيت التالي، يزاوج الشاعر بين الضربة الشعريَّة والصورة البيانيَّة، ثمَّ يتألَّق أكثر في هذه المزاوجة، ليأتي بصورة حسيَّة حسينيَّة رائعة تؤكد انتماءَهُ لفعل الحسين عليه السلام، وأنَّه موطن للأسى فهو في لبنان وفؤاده في كربلاء(١٤):

شـاعرٌ صـدرهُ حمـيمٌ مقـيمٌ ... وفـؤاد يمـوت في كربلائِـهْ

وإذا تجاوزنا هذا الشاعر إلى الأديب اللبناني **جورج زكي الحاج** نجدهُ قد أطلَّ بهامته

على التأريخ وراحَ يبحث وينقّب صفحاتَهُ باحثاً عن مأساة إنسانيَّة تصلح لتكون مضربَ مثلٍ لأيِّ مناضلٍ يبحث عن الحريَّة ويطمح إلى زرعِ مجدٍ على جبين الإنسانيَّة، فلم يجد أعظم من الحسين عليه السلام مثالاً للتضحية الواعية والمُدركة للأهداف. إنَّ نهرَ كربلاء تدفَّق وراح يملأُ دمُهُ وجهَ التأريخ، وتحوَّل هذا الدَّم إلى ألويةٍ تزرع في كلِّ أرضٍ تطمح إلى العدالة الاجتماعيَّة. ترك **جورج زكي الحاج..** جيفارا، وغاندي، ومارتن لوثر، وكل الأحرار، وبحث عن الحسين وكربلاء ليضربَ بهما مثلاً في أيَّة نكسة أو ألمٍ يدل على الحزن والتراجيديا. شاعر وقفَ أمام قائد عربي مُرتّلاً: **(تبقى دهوراً، وكلُّ الكون يندثرُ)**. الحسين ليس حِكْراً على طائفة، فهو أكبر من الطوائف، وما استشهاد (الشعراء غير المسلمين)، الذين منهم جورج زكي الحاج، بكربلاء إلاَّ دليل على ذلك.

لقد استوحى الأديب جورج زكي الحاج الرمز الحُسيني في شعره؛ لأنَّه وجد في الحسين عليه السلام شخصيةَ الثائر، وشخصيةَ القائد، وشخصيةَ الإمام، وشخصيةَ البطل. شخصيات عديدة وقيم مختلفة جمعها الإمام الحسين عليه السلام في شخصه، وأعتقد أنَّ هذه القيم هي مَدعاة فخر الإنسان، كما هي مَدعاة عطاء، أيضاً، للشاعر. ولعلَّه من هنا كان الشاعر يردد دائماً: **(أنا مسيحي أؤمن بمسيحيتي، لكنّني أحبُّ الإمام الحسين، هذا الإمام الكبير العظيم)**[١٥]. يقول من قصيدة له في الإمام الحسين عليه السلام تقع في ستين بيتاً سمَّاها **(يا ابن الكرام)**[١٦]:

فتى الشهادةِ جئتُ اليومَ أعتذرُ	منك السَّماحُ وفيك الشعرُ يختمرُ
مرَّتْ سنينٌ ولم أكتُبْك مكرمةً	ضجَّ اليراعُ وكادَ الطِّرْسُ ينتحرُ
ما قيمةُ الشِّعرِ إنْ لم ينسكبْ قِيَماً	هي المعالي وفيها المرءُ يفتخرُ
وأنتَ للشِّعر محرابٌ وملحمةٌ	منك القوافي بلَفْحِ القُدسِ تأتزرُ
فصارَ ذكرُكَ للأبطالِ مفخرةً	إيهٍ حسينٌ ببالِ اللهِ ثُذكَرُ
يا كربلاءُ رياحُ الظُّلمِ إنْ لَفَحَتْ	أرضَ الهدى لا تقولي الشَّرقُ يُحْتَضَرُ
تبقى بلادي منارَ الشَّرقِ تُرشدُهُ	مهما توالتْ على إخضاعها زُمَرُ

لقد تحوَّلت الحقيقة التاريخيَّة إلى أسطورة، وخلق الشاعر من الأسطورة، ومن رؤيته، حالة جديدة للبطل هي حالة الحضور الحدسي الوجداني، وأصبح استشهاد الحسين عليه السلام

علامة وجوده المُستمر، وأصبح التلاحم بين الحسين عليه السلام، وبين الجمهور المُشيَّع بذكراه يمر من خلال قصيدة، بعد أنْ كان يمر من خلال التأريخ والسيرة الشعبيَّة.

لقد تعلَّم الشاعر من الإمام الحسين عليه السلام أنَّ الدين محبَّة، وتعامل الإنسان مع الآخر. ويبدو أنَّ تعلّق الشاعر بشخصيَّة الإمام الحسين عليه السلام لِمَا تجسِّده هذه الشخصيَّة من قيم إنسانيَّة عالية، ولِمَا فيها من شبه كبير بينها وبين شخصيَّة المسيح الذي فدا البشريَّة أيضاً. وممَّا لا شك فيه أنَّ الثقافتين المسيحيَّة والإسلاميَّة قد ظهرتا واضحتين في قصيدته، إذْ يقول(١٧):

يـا ابـنَ الكـرامِ دروبُ الظُّلـمِ حالكـةٌ ... فالشـوكُ يملأُهـا والوحـلُ والمـدَرُ

والـرَّبُّ علَّمنـا أنَّ الهـدى كَلِـمٌ ... تبقـى دهـوراً وكـلُّ الكـون ينـدثِرُ

فالحقـدُ إنْ صـالَ عطـرُ الـورد يـدحَرُهُ ... والـبغضُ إنْ طـالَ باسـمِ الحـبِّ ينكسـرُ

ونصـرةُ الحـق أعلـى مـن ذرى قِمَـمٍ ... أسمـى البطـولات باسـم الحـقِّ تُختَصَـرُ

إيـهٍ حسـينٌ وذكـراكَ الـتي حُفِـرتْ ... في القلـبِ في البـالِ آيـاتٍ كمـا الـذِّكَرُ

تبقـى القداسـةُ بنـتَ النَّـاسِ يحملُهـا ... شـعبٌ أبيٌّ ولـو حكَّامُـهُ مكـروا

وأنـتَ تبقـى علـى الأيـامِ قاطبـةً ... رمـزَ الفـداءِ وهُـمْ رمـزٌ لِمَـنْ كفـروا

وإذا تقدمنا قليلاً بعد جورج زكي الحاج عثرنا بملحمتين عن الإمام الحسين عليه السلام، **أولاهما** للشاعر اللبناني المسيحي الأرثوذكسي **جورج حنّا شكور**، وقد نظم نحو ثمانين بيتاً من الشِّعر في تصوير هذه الملحمة، وبقيَ ثلاث سنوات متردِّداً قبل أنْ ينجزَها، كما قرأ الكثير من الكتب عن الإمام الحسين عليه السلام حتى لا يقع في أيِّ خطأ تأريخي أو تحليلي. **وثاني ذينك الملحمتين** للشاعر **ريمون قسيس** التي تُعد من أروع القصائد في العلاقات الأخويَّة وتمتين التواصل المسيحي الإسلامي، من خلال التشابه بين الإمام الحسين وعيسى ويحيى عليهم السلام، وكذلك التحدُّث عن (وهب) المسيحي الذي استُشهد في كربلاء.

وينبغي أنْ لا نستكثر - بَدِيّاً - على شكور وريمون - وغيرهما من أبناء الرسالة العيسويَّة - أنْ يتصدَّيا لملحمة إسلاميَّة؛ لأنَّ المسيحي قد يعيش الإسلام حضارةً وروحاً وحركة إنسانيَّة إذا لم يعشه في حالة انتماء. كما قد يعيش المسلم المسيحيَّة في عناصرها القيَميَّة الأصيلة، رسالة يُؤمن بها ويلتزمها ويخشع لها في شخصيَّة السيد المسيح عليه السلام، وذلك

ممَّا يُمثِّل غنى الفكر الذي ابتعد عن الدائرة المُغلقة، وغنى الرُّوح التي تتسامى عن الروحيَّة المُعلَّبة. ولعلَّه من هنا يحاول كل من الشاعرين أنْ يُقدِّم الصورة الإنسانيَّة العامَّة لشخصيَّة الإمام الحسين عليه السلام، فهو عليه السلام تأريخ لثورة ورمز لقضيَّة، لم يقف عند حدود عناصر الأحداث وأبعاد وقائعها، المتمثلة في رمزيَّة واقعة الطَّف، وشعائر ذكرى كربلاء، ومضامين حدث التضحية، ومدلولات مظلوميَّة الحسين، ومعنى مفهوم الثورة، فحسب، بل تحوَّل إرثها التأريخي الثَّر إلى عطاء فكري متجدد دافعاً إلى تحريك واستنهاض الروح النضاليَّة لدى المظلومين والمستضعفين في فضاء لا حدود زمانيَّة أو مكانيَّة لمساحته، ولعله من السهولة بمكان تتبع واستجلاء تلك المعطيات سواءً أكانت كفاحاً ثوريّاً أو حراكاً فكريّاً على أرض الواقع. ولنقترب قليلاً من النصوص. يقول **جورج شكور**[١٨]:

على الضَّميرِ دمٌ كالنَّارِ موَّارُ	إنْ يُذبحِ الحقُّ فالذَّباحُ كفَّارُ
دمُ الحسين سخيٌّ في شهادتهِ	ما ضاعَ هدراً به للهديِ أنوارُ
وللشهادةِ طعْمٌ لم يَذُقْهُ سوى	الشُّمِ الأُلى أقسموا إنْ يُظلموا ثاروا
يومَ الحسين بكَ الأيامُ شامخةٌ	وقد تَشابَهَ في التأريخ أدوارُ
ذكَّرْتَني كأسَ سُمٍّ راحَ يجرَعُها	سقراطُ حرّاً ولم تأسِرْهُ أفكارُ
ذكَّرْتَني رأسَ يوحنَّا به حَلُمَتْ	إحدى العواهِرُ والظُّلاَّمُ عُهَّارُ
ذكَرْتَنيهِ يسوعَ الحقِّ مرتفعاً	على الصَّليبِ وفي كفيهِ مسمارُ
إنَّ العقائدَ ما هانتْ وما وَهَنَتْ	ولو أحاطَ بها خَطْبٌ وأخطارُ

يبدأ الشاعر ملحمته بذكر شهادة الإمام الحسين عليه السلام - التي أصبحت رمز المواجهة بين الإسلام الحقيقي والشِّرك المُدنَّس - وكيف أنَّه بهذه الشهادة قد وطأ الموتَ بالموت ووهَبَ الحياة لمَنْ أتى بعده من الشُّهداء. ثمَّ أنَّ لهذه الشهادة طعماً خاصاً، ومذاقاً مختلفاً لا يشعر به إلاَّ الكبار الشامخون الذين لا يخضعون أمام الظلم، ويثورون على الطاغوت أينما كان، من أمثال الإغريقي سقراط، وكذلك يحيى وعيسى - عليهما السلام - فهؤلاء الشهداء - وسيدهم ومعلمهم الإمام الحسين عليه السلام - هم العظماء الذين يوزعون مدارج الجنَّة، وهم مَنْ يشفعون للتابعين لهم يوم القيامة. وهذا ما يُعبِّر عنه الشَّاعر، فيما بعد، بقوله[١٩]:

مدارجُ الجنَّةِ العُليا ثُوزّعُها	روحُ الشَّهيدِ وأبرارٌ وأطهارُ

وقريب منه، فكرة وصياغة، قوله[٢٠]:

تُشرى شعوبٌ إذا جاعتْ وإنْ جَزَعتْ ... فالظُّلمُ مُرتَهَبٌ والمالُ غرَّارُ

لكنَّما شهداء الحقِّ من كبَرٍ ... والشَّامخُ الحرُّ لا يغريه دينارُ

ويُخالف الشاعر المسيحي موقف كبار شعراء الشيعة ومنهم الشريف الرَّضي والجواهري ممَّن قالوا: **(إنَّ كربلاء كربٌ وبلاء..)**، فيتساءل في بعض أبياته ويُجيب[٢١]:

يا كربلاءُ أأنتِ الكربُ مبتلياً ... وأنتِ جُرحٌ على الأيَّامِ نعَّارُ

لا، لا، وثيقةُ حقٍّ أنتِ شاهدةٌ ... أنْ في الخليقةِ أشرارٌ وأخيارُ

ثمَّ يقول[٢٢]:

هذا يزيدُ دعيُّ الحُكمِ ينذرُهُ ... وهل يبايعُ بالأحكام فُجَّارُ

وهذا البيت، هو، إمتدادٌ لمشهد ملحمي ثوري حُسيني يُبرز لنا، بجلاء، الموقف الرَّافض لأبي الأحرار عليه السلام حيال تنصيب معاوية لابنه يزيد خليفة للمسلمين، ولذلك[٢٣]...

ردَّ الحسينُ بلا كالسَّيف صارمةً ... وسيِّدُ الحقِّ باللأءاتِ زأْآرُ

ولقد ينبغي أنْ لا نعجب من هذا الموقف؛ لأنَّ أبا الضَّيم عليه السلام قد قال بعده[٢٤]:

سمعتُ جدِّي رسولَ اللهِ حرَّمها ... فلا خلافةَ في سُفيانَ تُشتارُ

المبدأُ الحرُّ سرٌّ لا أُدنِّسُهُ ... مقدَّسٌ وحُماةُ السِّرِّ أحرارُ

وتكتمل الصورة الأدبيَّة عندما يرسمها الشاعر مؤطرة بالألم الذي يقض المضاجع لدى أهل النُّهى فيقول[٢٥]:

في كربلاءَ سكبتَ العُمرَ ملحمةً ... بالدَّمِّ خُطَّت وخطَّت عنك أسفارُ

رامحتهُم وصهيلُ الخيلِ حمحمةٌ ... سابقتهُم وصليلُ السَّيفِ بتَّارُ

ضجَّت لهيبتِكَ الصَّحراءُ مجفلةً ... كأنَّما هبَّ في الصحراء إعصارُ

لكن هويتَ وما في الأفق كوكبةٌ ... إلاَّ عليكَ بكتْ والدَّمعُ مِدرارُ

لم تُكمل الشَّوط لكن ظلَّ ملتفتاً ... الى مثالك في الفرسان مضمارُ

قد جذَّ رأسك بالأسياف واقتطعت ... رؤوس قومك قلبُ الحقد قهَّارُ

يـــا ويحهُـــنَّ علـــى الأرمـــاح داميـــةً ... تخالُهـــا النَّخـــلَ لاحـــتْ منـــه أثمـــارُ

والنائحـــــات بهـــــنَّ الآهُ لاهيـــــةٌ ... خـــــدودهنَّ عليهـــــا الـــــدَّمعُ حفَّـــــارُ

رقَّـــت لهُـــنَّ دروب البيـــد باكيـــة ... ونكســـت رأســـها في الـــدَّوِّ أديـــارُ

وبالجملة نجد أنَّ ثقافة النَّص - بعامَّة - بائنة فيه، وهي ثمرة من ثمرات البُعد المعرفي للشاعر، فنحن نشعر بقدرته على صياغة الصور الحسيَّة مستعيناً بمعرفته الأفقيَّة، ونعني بها إلمامه بكلِّ الموضوعات التي تُسهم في بناء القصيدة فكراً ومعنىً وتأريخاً، فضلاً عن استعانته بالمعرفة العموديَّة، وهي قدرته الذاتيَّة في الغوص إلى أعماق الموضوع الذي يكتب فيه، والإلمام بكلِّ دقائقه، فكانت صوره الحسيَّة المتنوِّعة، هنا، تشرح التأريخ وتتحدث بلغة البيان، وتُنير ذهن السامع بحججها الإقناعيَّة التي درَّتْ بها معرفته العموديَّة، فالشاعر لديه معرفة بصياغة الصورة الحسيَّة، ويأتي بها في حينها حين يتطلَّب الموقف منه ذلك، كما في قوله[٢٦]:

لـــولا شـــهادةُ مَـــنْ مـــاتوا بأمَّتنـــا ... لســـادَها بـــاحتلالِ الأرضِ عُهَّـــارُ

هـــذا حســـينٌ بـــأرضِ الطَّـــفِّ يأمُرُنـــا ... أنْ نقتـــدي بخُطـــاهُ وهـــو أمَّـــارُ

فالشاعر يدعو الشعوب في البلدان المختلفة إلى أنْ يقتدوا بنهج السبط الشهيد عليه السلام في الدفاع عن الحق، وأنْ يتأسُّوا به في الصمود؛ لنيل غاياتهم؛ لأنَّ **شهادة الحسين** - كما يقول الشاعر[٢٧] - **حدثٌ تستهدي به الشعوب الباحثة عن الحريَّة**؛ ولذا كان الشاعر يردد دائماً: **(لو كنتُ مع الإمام الحسين عليه السلام لَمَا ترددتُ في نصرته، ولآستشهدتُ معه، وكان ذلك شرفاً لي)**[٢٨].

وما يُقال عن الشاعر جورج شكور يُقال، أيضاً، عن الشاعر **ريمون قسيس**، فهو يخاطب السبط الشهيد عليه السلام قائلاً[٢٩]:

يـــا حســـينَ الفـــداءِ تفـــديكَ نفســـي ... أنـــتَ نـــوري المُضـــيءُ يُضْـــحي ويُمْســـي

ولقـــد عِشْـــتَ للرِّمـــاح العـــوالي ... في ســـبيلِ الإلـــهِ يُفـــدى بـــنَفْسِ

وهذا اعتراف صريح من الشاعر أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد ثار على الكفرِ والطَّاغوت، وضحَّى بنفسه في سبيل الله تعالى. وعبارة (في سبيل الإله) هي ردٌّ على الشُّبهة التي تعد حركة الإمام عليه السلام ماديَّة ومن أجل نوال الحكم والسيطرة عليه، فمحاولة اختزال الثورة الحسينيَّة بهذا البُعد الهامشي ظلمٌ فادح، وليس هناك عقلٌ سليم ينكر ما لبني هاشم من

دور ديني ريادي قبل الإسلام وبعده؛ لأنَّ بني هاشم، في الأعم الأغلب، **(مثاليُّون أريحيُّون، ولا سيما أبناء فاطمة الزّهراء عليها السلام)**[٣٠]، وبما أنَّ الأمر كذلك فلا نستغرب أنْ يقولَ الشاعر فيهم[٣١]:

يا بني هاشم وصفوةُ قومٍ ... من قريشٍ حسينكُمُ هو مرسي
جرأةٌ في شجاعةٍ جودُ كفٍّ ... لا يجارى وئبْعُ فَهْمٍ وئدْسِ

ولا ينسى الشاعر أنْ يُشير إلى التشابه بين استشهاد يحيى بن زكريا والإمام الحسين عليه السلام، وكذلك شهادة (وهب) المسيحي الذي عمَّدها بالدَّم المسكوب على ثرى الطَّف فامتزج بدماء سيد شباب أهل الجنَّة عليه السلام وأنصاره رضوان الله عليهم أجمعين[٣٢]:

وسماءً بَكَتْ فيحيى بكَتْهُ ... وحسينٌ بَكَتْهُ في قطْعِ رأْسِ
يا لوهبٍ كم في الجوامِعِ يُتْلى ... اسمَ وهْبٍ وفي محافل كَنْسِ
هو قسٌّ من النَّصارى شهيدٌ ... وحسينٌ غَدَا فخوراً بقسِّ

ويختم ريمون ملحمتَهُ بخلود الحسين، وخلود كربلاء، وخلود الشهادة، معترفاً بأنَّ القلم والشِّعر أصغر من أنْ يتمكَّنا من كتابة فضائل الإمام الشهيد عليه السلام[٣٣]:

وكراماتٌ للحسين تجلَّتْ ... وتفشَّتْ من كربلاء لنرسِ
كيفَ ترجو لأمَّةٍ نورَ شمسٍ ... وهي دوماً تعيشُ دجيةُ غلسِ
كيفَ تصحو على عبيقٍ بوردٍ ... وحوالي الرَّوضِ اصفرارٌ بورسِ
صاحَ هذي كتَبتُها بنجيعي ... على شهيدٍ لم يَرْوِهِ فيْضُ نفْسِ

وجماع القول إنَّ الشاعر اعتمد على ما يملكهُ من معارف في صياغة هذه الملحمة التي كانت ناطقةً عن كلِّ معنى استوطن فيها، وأبانتْ عن مقدرة الشاعر في اختيار الصورة الحسيَّة التي تتناسب مع البُعد المعرفي لمعنى البيت، ومن ثم القصيدة بأكملها، فالصور الحسيَّة بأنواعها التي بُنيَت عليها القصيدة كانت تُومئ إلى معرفة ثقافيَّة قصوى لدى الشاعر، جمعت بين علمه بالتأريخ، ومعرفته البيانيَّة، وقدرته على إقناع المُتلقِّي بحججه.

ونعدو ملحمتي جورج شكور، وريمون قسيس.. إلى **(علويّات) جوزيف الهاشم** - الملقَّب بزغلول الدَّامور - وهي خمس قصائد متفاوتة الطُّول على مساحة ٨٠ صفحة من

الحجم المتوسط، استلهمها الشّاعر من وحي الإمام علي عليه السلام كما جاء على غلاف الكتاب. ومن ضمن القصائد التي تضمنها الكتاب حديث الشاعر عن الإمام الحسين عليه السلام وتضحيته في سبيل الله، وإحياء الإسلام المحمّدي الأصيل، معتبراً هذه التضحية مظهراً من مظاهر الجُود والكرم عنده عليه السلام بعد أنْ **(وصل الأمر في عهد يزيد إلى حدٍّ لا يُعالج بغير الاستشهاد وما نحا منحاه. وهذا هو الاستشهاد ومنحاه، وهو - بالبداهة التي لا تحتاج إلى مقابلة طويلة - منحىً غير منحى الحساب والجمع والطّرح في دفاتر التجّار)**[٣٤]. يقول جوزيف الهاشم[٣٥]:

يـا ابـنَ فاطمـةَ الزَّهـراءَ يـا ابـنَ علـي ... وأيُّ مجـدٍ تـراهُ بَعْـدُ في القِمَـمِ

ألـيسَ يـومَ وُلـدتَ ارتـابَ جـدُّكَ في ... بغـيٍ علـى لوحـةِ التـأريخِ مُرتَسِـمِ

أتـاهُ جبريـلُ بالـدَّهياءِ يُنْبِئُـهُ ... بكـربلاء بسـفكِ الـدَّمِ في الحُـرُمِ

عِـمْ يـا حسـين فقـد أثمَمْـتَ مـا كتبـتْ ... يراعـةُ اللهِ مـن دوَّامـةِ العَـدَمِ

مـا كنـتَ تجهـلُ في دربِ العـراقِ مـدىً ... وطيـفُ جـدِّكَ حـثَّ الـوَطْءَ بالقَـدَمِ

نهـوكَ عنـها فلـم تَحفِـلْ فخضْـتَ بهـا ... وفي يـديكَ مصـيرُ العُـرْبِ والعَجَـمِ

وليس في القول تردد إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد اختار بنهضته طريقاً جديداً لهداية الناس وإحياء رسالة جدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله؛ لأنَّه رأى أنَّ الناس لن يهتدوا بآيات الله وكتابه، ومن هنا كان لابد أنْ يبحث عن طريق آخر، هو طريق الشهادة؛ لِمَا لها من أثر كبير في إحياء البشريَّة وإنقاذها من الضَّلالة، ووضعها على طريق الهداية والإيمان والعدل. وحقّاً نال الإمام عليه السلام بغيتَهُ في إصلاح أُمة جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما نلحظه، اليوم، في المسلمين المُتأسِّين بإتباع منهجه وتعاليمه عليه السلام في دفاعهم عن الحق، ومُحاربة الظلم، ومُقارعة دُعاة الباطل وأتباعهم. وهذا هو معنى قول الشاعر[٣٦]:

لم يهْتَـدِ الخَلْـقُ بالآيـات فـانتحرتْ ... روح الرسـالات في بحـرٍ مـن الحِمَـمِ

وقوله أيضاً[٣٧]:

برأسـهِ ارتفعـتْ أركـانَ أُمَّتِـهِ ... وزُجَّ رأسُ بـني سُـفيانَ بـالوَخَمِ

وجدير بالملاحظة هنا أنَّ الصُّورة الحسيَّة في هذين البيتين - بل في الأبيات السابقة

بجملتها - قد نمّت عن أديم اليقين المعرفي، أي ما اختزنه الشاعر من معرفة لتكون مُموِّلاً للمعنى الذي ارتضاه هدفاً عبر الصُّورة الحسيَّة المُنتقاة، التي أعطت معانيها الإيحائيَّة دلالات تبيِّن جانبين، **أولاهما**: أنَّ تضحية الإمام الحسين عليه السلام كانت خالصةً لله سبحانه. **وثانيهما**: قدرة الشاعر الفنيَّة من خلال توظيف التراث وأحداث التأريخ، فكانت الصُّورة الحسيَّة الوعاء الذي تضمَّن ذلك اليقين المعرفي الذي اقتنع به الشَّاعر فصدَّقهُ إحساسه أوَّلاً.. ومن ثمَّ أودعهُ أبياته ثانياً. ومن هنا ظهرت النتيجة التي كان يصبو إليها عليه السلام بتضحيته في سبيل الله، وهي ما يعبِّر عنه الشاعر حين يقول[٣٨]:

عِـمْ يـا حسـين فأنـتَ اختـرتَ جلْجلـةً ... إلاَّ النبيُّـون مـا فـازوا بـذا الحُلُـمِ

وفـزتَ أنـتَ وربِّ الكعبـةِ انتصـرتْ ... أشـياع منتصـرٍ للهِ مُعتصـمِ

وقـام ديـنُ نـبيِّ اللهِ بعـدَ ونىً ... بغـيرِ أنفـسِ أهـل البيـتِ لم يَقُـمِ

لـولاكمُ مـا ارتقـت للهِ ألويـةٌ ... وخـابَ سِـرُّ ابتـداعِ الكـون بالنَّـدمِ

ودفعاً لمظنَّة انفراد الشيعة - والمسلمين -ـ بالإمام الحسين عليه السلام من دون الأديان والمذاهب، وإنَّ ذلك كان خاصّاً بهم وحدهم، يشير الشاعر إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لا يختص بدين واحد ومذهب واحد، بل هو إمام لكلِّ الأديان والمذاهب، فيقول[٣٩]:

لا، لسـتَ أنـتَ إمامـاً سـادَ شـيعتَهُ ... أنـتَ الإمـامُ لكـلِّ الخَلْـقِ والنَّسـمِ

رَفَعـتَ في الأرضِ عَـرْشَ المـؤمنينَ عُلـىً ... وشِـدْتَ في الخُلْـدِ عَرْشـاً بـاذخَ الهَـرَمِ

وقد انتبه الكاتب المسيحي **أنطوان بارا** إلى هذا الأمر، فقال -ـ في نقاش قول الرسول صلى الله عليه وآله: (إنَّ لقتل الحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً) -ـ **وفي هذا القول دلالة على شموليَّة ثورة الحسين عليه السلام، فقول رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقتصر على المسلمين، وإلاَّ للفظها لسانهُ الكريم بهذا المعنى، لكنها شملت كلَّ المؤمنين قاطبةً تحت أيَّةِ عقيدة انضووا، وفوقَ أيَّةِ بقعة على الأرض وُجدوا**[٤٠]. وهذا ما أدركهُ، أيضاً، الشاعر المسيحي **ميشال كعدي** بقوله[٤١]:

كـربلاءُ غـدًا لرسمِـكِ نـورٌ ... في سَـمانا مثْـلَ البهـاءِ اشـتهارا

فالشاعر حينما يقول (سمانا)، إمَّا أنْ يقصد المسيحيين؛ لأنَّه يتكلم عن الحسين عليه السلام

تحت عقيدة مسيحيَّة، وإمَّا أنَّه يُريد البشريَّة جمعاء. وعلى كلا الحالين يمكن القول إنَّ هداية الإمام الحسين عليه السلام لا تنحصر في الديانة الإسلاميَّة، ومذهب الشيعة، فحسب، بل تكسر القيود الزَّمنيَّة والدينيَّة لتشمل كل الأمم والأديان. وهذا المعنى من جملة ما عبَّر عنه الشاعر **جورج طربية** في قوله(٤٢):

لا، لستَ للإسلامِ وحْدَهْ، إنَّ في القلبِ مَقامَكْ

وفي مثله(٤٣):

يـــا إمـــامَ العـــرب جئنـــا هاديـــاً ... أو مســـيحاً ســـائراً فـــوقَ الغَمـــامْ

صِـــحْ بنـــا ننـــهضُ مـــن أحلامِنـــا ... أو فَـــدعْنا في تلافيـــفِ الظَّـــلامْ

والشاعر، هنا، يستعين بالإمام الحسين عليه السلام ليكون مسيحاً لهم، يهديهم كما يهديهم المسيح. ولا بدع في ذلك؛ لأنَّ **(الحسين عليه السلام من وجهة النظر المسيحيَّة هو شهيد للمسيحيَّة كما للإسلام وكما لغيرها من العقائد؛ لأنَّ تضحيته ذات أهداف إنسانيَّة شموليَّة لا تختص بفرد دون آخر، ولا بعقيدة دونَ سواها)**(٤٤). هذا من جانب، ومن جانب آخر كان الإمام الحسين عليه السلام - ولا زال - صاحب نهضة أعادت للأمة الإسلاميَّة كرامتها، وللإنسانيَّة رونقها، وميَّزت الحق من الباطل، وقادت النفوس إلى التحرر من أسْرِ الظالمين في أيِّ زمانٍ ومكان، ومن هنا لم يَعْدُ الدكتور السيِّد الجميلي الحقيقة حين قال: **(إنَّني أرى، وهذا رأيٌ خاص، إنَّ الحسين انتصر على المدى البعيد، فهو إنْ لم يظفر بمراده في معركة حربيَّة ومواجهة عسكريَّة إلاَّ أنَّ نيلَهُ الشهادة في حدِّ ذاته كانَ انتصاراً له، ثمَّ أنَّه زرع بذور الحسيكة والحقد والسَّخيمة في قلوب الناس جميعاً نحو بني أميَّة، ولا يخامرني شك في أنَّ الإمام الحسين انتصر على المدى البعيد، وكان استشهاده سبباً مباشراً في زلزلة عرش دولة الأمويين، مع انصباب جام اللَّعنات والسَّخطات عليهم بسبب ومن جراء هذه الجريمة البشعة)**(٤٥). ولعلَّه من هنا كان الحسين عليه السلام حاضراً في قلب الأدب العالمي، وبخاصة النظم الذي يمثل قمة أدب كل أمة وسنامه، وفي هذا المعنى يقول شاعر الروم الأرثوذكس **حليم دموس**(٤٦):

وحـــي الســـماء أتـــاكم وهـــو رابطـــه ... لكـــل شـــعب بـــذكر الحـــق نجـــواهُ

هـــذا ابـــن فاطمـــة الزهـــراء مفخـــرةٌ ... للعـــرب مـــا بـــين دنيـــاهُ وأخـــراهُ

لـــولا الشـــهادةُ لم تعـــرف مكانتـــه ... ولم يفـــز بـــالعلا لـــولا ضـــحاياهُ
فكرمـــوا كـــل عـــام في محـــافلكم ... مـــن مقلـــة الله في الجنـــات ترعـــاهُ
دم زكـــــي طهـــــور لا يعادلـــــه ... دم ســـــفكناه أو دمـــــع ســـــفحناهُ

وله أيضاً[٤٧]:

ذكـرى الحسـين حفيـد أحمـد صـفحة ... زادت بأســـرار الســـماء يقـــيني
تلـــك الضـــحية في المحـــرم جـــددت ... في كعبـــة الإســـلام صـــرح الـــدين
لم أنـــسَ بيتـــاً للشـــهيد وقـــد دوتْ ... كلماتـــه في الطَّـــفِّ منـــذ قـــرون
إنْ كـــان ديـــن محمـــدٍ لم يســـتقم ... إلاَّ بقتلـــي يـــا ســـيوف خـــذيني

ومِمَّا لا ريب فيه أنَّ التقسيم المذهبي للشعر الحُسيني، إنَّما هو إظهار محوريَّة الإمام الحسين عليه السلام الذي استطاع أنْ يستهوي قلوب المسلمين بكلِّ مذاهبهم، فضلاً عن الأديان الأخرى، لتعبِّر عن موقفها المُؤازر لصاحب الشهادة، وللقيم التي ضحَّى بنفسه من أجلها. وفي هذا الحال نسرع فنذكر قول الشاعر **ادوار مرقص**[٤٨]:

ركـــب الحســـين إلى الفخـــار الخالـــدِ ... بـــيض الصـــفاح فكـــان أكـــرم رائـــدِ
حشـــد الطغـــاةُ عليـــه كـــل قـــواهم ... وحمـــوا عليـــه ورد مـــاء بـــاردِ
وتخيلـــوهُ يســـتجيب إلـــيهمُ ... أمـــا أحـــس مـــن الظمـــا بالرافـــدِ
تـــأبى البطولـــة أن يـــذل لبغـــيهم ... مَـــنْ لم يكـــن لســـوى الإلـــه بســـاجدِ

ومن نحوه قول الكولونيل الشاعر الكبير **حبيب غطاس** المسيحي اللبناني الذي اعتنق الإسلام، فيما بعد، في عهد الرئيس فؤاد شهاب، وتمسَّك بمذهب أهل البيت عليهم السلام، ممَّا جعله يخسر رتبته العسكريَّة العالية في الجيش اللبناني التي كانت حِكْراً على المسيحيين، حسب بنود التوافق اللبناني، وقد بَقِيَ مستقيماً على موالاة أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الوهابية حتى التحق بالرفيق الأعلى سنة ١٣٨٥ للهجرة. ولنسمعه على أيَّة حال يقول[٤٩]:

روحـــي فـــداك حســـين مـــا بـــدا قمـــر ... بالليـــل أو أشـــرقت في الصـــبحِ أنـــوارُ
انـــتَ الشـــهيد الـــذي أدميـــتَ أفئـــدةً ... لـــولاك لم يـــدمها والله بتَّـــارُ
صـــدُّوك عـــن مـــورد المـــاءِ المبـــاحِ فـــلا ... ســـالت بأرضـــهُمُ سُـــحْبٌ وأنهـــارُ

يـــا كـــربلاء ســـقتك المُـــزنُ هاطلـــة ... علـــى رفـــاتِ حســـينِ فهـــو مغـــوارُ
يلقـــى المنيَّـــةَ عطشـــاناً ومبتســـماً ... إنَّ المنيَّـــةَ في عينيـــهِ أقـــدارُ
صـلَّى عليـه إلـهُ العـرشِ مـا بزغـتْ ... شمـسٌ ومـا طلعـت بالليـلِ أقمـارُ

لقد أثَّر الفعل الحُسيني في قلب الإنسانيَّة أينما حلَّت زماناً ومكاناً، وهذا دليل على انتصار ثورة الحسين عليه السلام وعالميتها، واتخاذها مثلاً ونبراساً للزاحفين إلى شواطي الكرامة والفضيلة من أيِّ جنسٍ كانوا، أو إلى أيِّ انتماءٍ تبعوا، لاسيما إذا أدركوا كُنْه الثورة الحُسينيَّة. تظل قضية الحسين عليه السلام إنسانيَّة عالميَّة غير محصورة بالمسلمين، فها هي صورة الحسين عليه السلام حاضرة في بعض قصائد الشاعر الصابئي **عبد الرزاق عبد الواحد**، ومنها (ألواح الدَّم) التي يستدعي فيها الحسين عليه السلام ويجعله نداءً عظيماً يهتف به[٥٠]:

يا حسينْ
إنَّ للصمتِ في أرضنا آيتينْ
أنْ يكونَ كريماً، عظيماً، رحيماً، كصمتكْ
مُمتلئاً بالمروءة، مُمتلئاً بالنبوة، مُمتلئاً بالنشوز
غبشاً يتوسط بين انتهاء الحياة وبدء القيامة
وعليه علامة
إنَّهُ مُفعمٌ بالحضورْ.. أو كصمت القبورْ

ومن نحو هذا، نصه الذي اهتم فيه بالصور الحسيَّة من الوهلة الأولى، إذْ يقول[٥١]:

قـــدمت وعفـــوك مـــن مقـــدمي ... حســـيراً أســـيراً كســـيراً ظمـــي
فَمُـــذْ كنـــتُ طفـــلاً رأيـــتُ الحســـين ... منـــاراً إلى ضـــوئهِ أنتمـــي
ومُـــذْ كنـــتُ طفـــلاً وجـــدت الحســـين ... مـــلاذاً بأســـوارهِ أحتمـــي
ومُـــذْ كنـــتُ طفـــلاً عرفـــت الحســـين ... رضـــاعاً ولِـــلآن لم أفطـــمِ
ســـلاماً عليـــك فأنـــتَ الســـلام ... وإنْ كنـــت مختضـــباً بالـــدمِ

لقد بدا الشاعر استهلاله بصورة حسيَّة حركيَّة بصريَّة؛ لأنَّ الاستهلال يمثل رغبة النَّاص بإخراج ما يعتمل في أطوئِه من شعور؛ ولأنَّ الاستهلال له علاقة وطيدة بالزَّمان والمكان معاً، فضلاً عن ذلك فإنَّ علاقة أخرى بين الإيقاع الداخلي، وبين إيحاء الألفاظ تظهرها الصورة الحسيَّة (حسيراً أسيراً كسيراً ظمي)، مُبيِّنة ولع الشاعر وحبه للحسين عليه السلام، فأكَّده بصورة حسيَّة بيَّنت عالميَّة قضيَّة الحسين عليه السلام في قوله:

فمُـــذْ كنـــتُ طفـــلاً رأيـــتُ الحســـين منـــــــاراً إلى ضـــــــوئِهِ أنتمـــــــي

فهو ينتمي إليه؛ لأنَّه للإنسانيَّة جميعاً، فلم يكن الحسين عليه السلام لأمَّة من دون أخرى، وقد أكَّد الشاعر هذا المضمون بصورة حسيَّة ذوقيَّة (عرفتُ الحسين رضاعاً)، وهو لم يفطم من حبِّه، فبيَّنَ ذلك الأمر التعلّق الرُّوحي بين الناس والحسين عليه السلام، ثمَّ ختم صوره الحسيَّة باللون الأحمر، فأعطت الصورة الحسيَّة مدلولات إيحائيَّة عبَّرتْ عن عالم وجداني صادق مخبوء في أعماق الشاعر، التحم الوجدان اليقيني لديه بانفعاله فخلَّف صوراً حسيَّة تكلَّمت بفم الحقيقة عن تأثير الحسين عليه السلام في الآخر.

ولم يقتصر حب الحسين عليه السلام والتعاطف معه – **كموقف** – على الشعراء غير المسلمين من العرب، وإنَّما تعداهم إلى شعراء **غير العرب** من **غير المسلمين** ممَّن استهوتهم مبادئ النهضة الحسينيَّة وداعبتْ مشاعرهم وأحاسيسهم فترجموها إلى نظم. وقد أفرد المحقق الدكتور محمد صادق الكرباسي في موسوعته الحسينيَّة باباً خاصّاً بالأدب الحُسيني غير العربي باللغة الإنكليزية، وذكر ما يقارب (٦٠) قصيدة لشعراء الأدب الإنكليزي حسب الزَّمان، من مثل: وليم كوك بن رتشارد تايلر المتوفى سنة ١٨٤٩م، وهو أقدم الشعراء الذين نظموا في الإمام الحسين عليه السلام ووصل شعرهم، والإلكسندر داود بن جون رسل المتوفى عام ١٩٣٤م، وهيربت جورج بن جوزف وليز المتوفى سنة ١٩٤٦م، والشاعرة الهنديَّة سارجيني نايدور بنت آغرنات جاتو باديايا المتوفاة سنة ١٩٤٩م، وإثل بنت جون بوب المتوفاة سنة ١٩٥٢م.

ولأنَّ الديوان – أو هذا الباب الخاص – في الأدب الحُسيني باللغة الإنكليزية فإنَّ المستشرق البريطاني خبير اللغات الساميَّة واللغات القديمة البابليَّة والآشوريَّة، فضلاً عن اللغات الأردويَّة والفارسيَّة والعربيَّة والفرنسيَّة واليونانيَّة، والذي يتكلم الأردويَّة بطلاقة، البروفسور ديفيد جون ماثيو المولود في لندن عام ١٩٤٢م، استهواه الديوان وكتب مقدمة

باللغة الإنكليزيَّة قدَّم فيها رؤيته عن حركة الإمام الحسين عليه السلام والنهضة الحسينيَّة والدور الذي تضطلع به دائرة المعارف الحسينيَّة لتوثيق هذا التراث والتحقيق فيه، معتبراً من وجهة نظر مستشرق بريطاني بحث الأدب الأردوي وقام بتدريسه في شبه القارة الهنديَّة، وفي المملكة المتحدة، وتناول القضيَّة الحسينيَّة في تراجمه ودراساته أنَّه **(أصبحت مذبحة كربلاء القضيَّة المركزيَّة لدى المسلمين الشيعة، وأنَّها أعطت الأفق الواسع للكتابة عن النهضة الحسينيَّة نثراً ونظماً باللغات التي يتحدث بها المسلمون العربيَّة والفارسيَّة والأردويَّة المنتشرة خاصة في شبه القارة الهنديَّة)**[٥٢].

ومن واقع مشاهداته في شبه القارة الهنديَّة أثناء تدريس الأدب الأردوي وجد **(أنَّ الاختلاف المذهبي بين المسلمين من الشيعة والسنة ليس بالشيء الكبير ولا يُعد واضحاً عندما يتعلَّق الأمر بالنهضة الحسينيَّة، فهناك مسلمون سنَّة يحيون العشرة الأولى من محرم الحرام، بل يشاركون في الشعائر الحسينيَّة)**[٥٣]. يقول **H.Wells** في قصيدة له بعنوان **(Imam Husain)**[٥٤]:

Pitched upon the scorching desert,
The tent of Husain lay,
Encompassed round with Satan' s hounds
Upon that black sad day.
They numbered less than eighty strong,
Women and children too,
While Yazid s thousands stood around,
Awaiting the fiend s might.
Driven away from the cooling stream,
His children waiting for water.
Awaiting with patience extremely sublime
Like sheep for the butcher' s slaughter.
Oh! How valiantly fought that pitiful few, ….
Against Yazid' s wild murderers,

Fought with a courage unequalled in time
Fought with a fierceness that was surely Divine.
The earth quaked and trembled as noon drew near.
But still the survivors knew no fear
But fewer grew that pitiful band,
For Islam,God,and Husain they stand.
At last, all were dead, the devil had won,
Blood re - sank down the merciless sun,
Trampled and torn lay the gallant Husain,

وهذه ترجمة القصيدة (الإمام الحسين) بتصرف يسير:

نحطُّ على الصحراء اللاذعة

حيثُ خيّمَ فيها الحسين وعسكرْ

حيثُ حوصر من قبل كلاب الشيطان وطُوِّق..

على ذلك اليوم الأسود الحزين

كان عددهم أقلّ من ثمانينَ من الأقوياء

والنساء والأطفال أيضاً

بينما الآلاف من جنود يزيد اصطفُّوا حولَهم:

بانتظار الشيطان الجبان

انساب من خلال النّهر البارد

أطفالُهُ كانوا بانتظار الماء

بالانتظار مع صبرٍ إلى أبعدِ حدٍّ

كانَ مثل كبشٍ ينتظر الذبح

يا لها من شجاعةٍ فريدةٍ في القتال بعددٍ قليلٍ يُرثى له

صدّ جنود يزيد القتلة الوحوش

قاتلَ بشجاعةٍ لا مثيلَ لها في الزّمان

قاتلَ بضراوةٍ هي بالتأكيد إلهيّة

الزلزالُ والرّجفة في الصّباح قريبان

إلاّ أنّ الباقينَ من الناجينَ لم يعرفوا الخوفَ أبداً

إنّ القليلين قاتلوا لأجل

الإسلام، الله، والحسين هم وقفوا صامدين

في النهاية، الكل قد ماتَ وانتصرَ الشيطانُ بزعمه

والدم الأحمر قد أغرقَ الشّمس القاسية

دهسوا ومزّقوا الحسين الشجاع

وتجدر الإشارة، هنا، إلى أنَّ النظام الإنكليزي بخاصّة، والغربي بعامّة لا يتشاكل كليّاً مع النظم العربي من حيث الوزن والقافية، فالشعر الإنكليزي لا يتقيَّد بالوزن، وبحوره قليلة العدد، والقصيدة الواحدة بشكل عام أشبه بالمقطوعات المترتبة من أسطر موزونة تختلف نبرتها بين أبيات وأخرى، أي أنّها تعتمد الصوت وتكراره في نهاية الشطر فيقال لها تجوّزاً قافية ختاميّة، ومنها قول الشاعر(٥٥):

O Furat , did recorded a dirge , your waves

An elegy, your murmur foundly saves

فالشاعر، هنا، في هذه القصيدة المؤلفة من ٢٢ شطراً يخاطب نهر الفرات الذي استشهد عنده الإمام الحسين عليه السلام فيقول:

رتّلت أمواجَ حُزنكَ ندبة أيها الفراتْ

تركَ لنا خريركَ ولَهاً في الرثاء مقطوعة أبياتْ

في مثل هذه القصائد يشترك كل شطرين بنهايات الصوت، ويختلف من حيث الحروف، وقد تتماثل، وهو أشبه بالشعر المثنوي أو الثنائي الذي يتشاكل فيه البيت في القافية في صدره وعجزه، وتختلف قوافي الأبيات في القصيدة الواحدة، ومثل هذا يكثر في الشعر الإنكليزي المُقفَّى صوتيّاً وقد يُسمَّى بالمصطلح الإنكليزي (rhyming couplet).

هذا ما استطعنا تسليط الضوء عليه من الشعراء غير المسلمين الذين نظموا في الإمام الحسين عليه السلام. ومن المؤكَّد أنَّ هناك أسماءً أخرى كثيرة، فملحمة كربلاء فضاء لا ينتهي، ومنبر لا ينضب، كلَّما نهلت منه الأجيال ازدادَ تدفُّقاً.

وصفوة القول: لم يكن الإمام الحسين عليه السلام للشيعة - والمسلمين - فقط، بل هو شهيد عالمي يُحتذى به. فَمَنْ نهض مع قلَّة الناصر يستذكر الإمام الحسين عليه السلام، وَمَنْ نهض لتصحيح المسار والدعوة لإظهار الحقيقة استشهد في ذات الطريق الذي سلكهُ الإمام، يستوي المسلم وغير المسلم. ولعله من هنا جاءت معظم النصوص من قراءات الآخر للإمام الحسين عليه السلام ونهضته، قراءة وجدانيَّة كتعبير لا إرادي عن مكامن النفس الإنسانيَّة المجرَّدة عن التعصب الديني أو القومي، ولذلك تأتي القراءة طاهرة وبريئة غير مُؤدلجة، يتقبلها المسلم وغير المسلم. وفي بعض الأحيان تشعرك النصوص أنَّ صاحبها يحاول التقرُّب أو التعرُّف على الإسلام من باب الإمام الحسين عليه السلام، وإنْ لم تقد القراءة إلى تحوِّل عمَّا يعتقد القارئ إلى الإسلام، بيد أنَّ واقعة كربلاء فرضت عليه أنْ يتناغم معها وجدانيّاً وإنْ تقاطع عقديّاً مع الإسلام. من هنا كان الإمام الحسين عليه السلام قتيل العَبْرَة والعِبْرَة، وهما قيمتان لا تخلو أمة من نشدانهما فعلاً أو قولاً.

Abstract

The revolution of Imam Hussein (PBUH) has created talents and geniuses, and hence enormous energies have emerged of high literature that stands at the forefront of world literature in magnificence and beauty. No literature that is in prose or verse of the peoples of the globe lacks the presence of Hussein therein. If this indicates anything, it proves that the

phenomenon is not confined to the poets loyal to the people of the Prophet's house, and not for Iraq, the land where Imam Hussein was martyred (PBUH), but the geographical, ideological, ethnic and religious boundaries with the phenomenon Hussein is non -existent; therefore, the poets were from various Islamic sects, and even from other religions; because the tragedy of Karbala touches the conscience of every fair human being, human conscience, which may rust and needs to be refined from time to time. The Hussein up - rise has its usefulness in this regard because the study of poetry written on Hussein reveals the treasures of sublime moral values that the peoples need to improve their affairs , and learning from what happened to their symbols and leading reformers. Hence , it is never strange that Mahatma Gandhi , leader of the greatest revolutions of modern history , reveals that learned lessons in freedom from the father of liberals , saying: (I learned from Hussein how to be oppressed and win) .

هوامش البحث

* في لقاء أجرته **مجلة المنبر الكويتية** مع الكاتب أشار إلى أنّ هذه ليست كلمته الشخصيّة، وإنّما هي كلمة قسّيس عاصر زمان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. وأضاف: وهذه الكلمة طبيعيّة، وهي تكشف كم أنتم الشيعة والمسلمون لا تعرفون قدر إمامكم الحسين عليه السلام. لقد كان لدينا حافر حمار المسيح عليه السلام، وكنّا نحج له، وأنتم لديكم مرقد الحسين، وآثار وبركات الحسين، وتراث الحسين، ولم نرَ أنّكم قمتم باستثمارها إيجابيّاً. أمّا لو كان الحسين منّا فلأقمنا له في كلّ أرضٍ بيرقاً؛ لأنّه ليس مرحلة فحسب، بل هو مسيرة حريّة الإنسان، وهو مبدأ أزلي، والكثير من المسلمين لم يكتشفوا بعدُ سر امتداد ثورة الحسين عليه السلام، وتأثيرها في النفوس.

(١) البيت للشاعر الكربلائي محمد علي الحائري آل كمونة (١٩٣٣م - ١٩٩٩م). وهو ينتمي إلى بيت زعامة ورئاسة وثروة ووجاهة، توفي في كربلاء ودُفن في الحائر الحسيني، جمع أحفاده من بعده مجموع أشعاره في ديوان أسموه (اللآلي المكنونة في منظومات ابن كمونة).

(٢) إمام علي عليه السلام در انديشه مسيحيت معاصر: ١٣٤.

(٣) ديوانه: ١٠١. والبيت الأول في الأصل: (.. إذا ما استبد الظلامُ شموسٌ..). وقد فضلنا الرواية التي أثبتناها.

(٤) مجلة الرابطة، العدد الرابع، السنة الثالثة، النجف الأشرف، ١٩٧٧م: ١١٩. وانظر: دلالة الصورة في الشعر الحسيني، صباح عباس عنوز: ٧٣-٧٤.

(٥) نفسه: ١١٩. ودلالة الصورة في الشعر الحسيني: ٧٥.
(٦) عيد الغدير، المقدمة: ٨.
(٧) نفسه، المقدمة: ٨.
(٨) نفسه: ٣١٢.
(٩) نفسه، المقدمة: ١١.
(١٠) نفسه: ٣١١. وانظر: دلالة الصورة في الشعر الحسيني: ٧٦.
(١١) نفسه: ٣١٢. وانظر: دلالة الصورة في الشعر الحسيني: ٧٦.
(١٢) علي والحسين: ٥.
(١٣) نفسه: ٢١. ويشير الشاعر في البيت الثاني إلى مرضه الطويل الذي طرحه على سرير الألم لسنوات عديدة وأعجز الطب بعد تسع عشرة عمليَّة جراحيَّة.
(١٤) نفسه: ٢١.
(15) http://alwareth.com/forum/showthread.php?958
(١٦) قصيدة الحسين عليه السلام يا ابن الكرام: ١٣، ١٤، ١٥.
(١٧) نفسه: ٢١.
(١٨) ملحمة الحسين عليه السلام: ٧- ٢٤، ٢٥.
(١٩) نفسه: ١٦.
(٢٠) نفسه: ٢٠.
(٢١) نفسه: ٢٢.
(٢٢) نفسه: ١١.
(٢٣) نفسه: ١٢.
(٢٤) نفسه: ١٢.
(٢٥) نفسه: ٢٦ وما بعدها.
(٢٦) نفسه: ٣٩.
(٢٧) جريدة البيِّنات، العدد (٣٩٤)، ٢٠١٢م، (مؤسسة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله ـ بيروت): ١.
(٢٨) جريدة الهادي، العدد (٣٢)، السنة الثالثة، كانون الثاني، ٢٠١١م، (مؤسسة الإمام علي - عليه السلام -): ١٤.
(٢٩) ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٣، ٢٤.
(٣٠) أبو الشهداء، الحسين بن علي: ٢٤.
(٣١) ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٩.
(٣٢) نفسه: ٣٨.
(٣٣) نفسه: ٤٣.
(٣٤) أبو الشهداء، الحسين بن علي: ١٢١.

(٣٥) علويّات: ٥٧، ٦٠.
(٣٦) نفسه: ٥٩.
(٣٧) نفسه: ٦٢.
(٣٨) نفسه: ٦٤، ٦٥.
(٣٩) نفسه: ٦٥.
(٤٠) الإمام الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي: ٨١.
(٤١) رياحين الإمامة: ٧٧.
(٤٢) مكاشفات العرّاف: ٤١.
(٤٣) نفسه: ٤٧.
(٤٤) الإمام الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي: ٣٤٦.
(٤٥) أنظر مقدمة الدكتور السيد الجميلي لكتاب استشهاد الحسين، للطبري: ٢٣.
(٤٦) ديوان القرن الرابع عشر الهجري، للكرباسي: قافية الهاء.
(٤٧) أدب الطَّف: ١٠/ ١٣١.
(٤٨) نفسه: ١٠/٤٣.
(٤٩) نفسه: ١٠/١٩٨.
(٥٠) آفاق عربيَّة، العدد (١٢)، السنة العاشرة، كانون الأوَّل، ١٩٨٥م: ٤.
(٥١) البابليات: ٢٠٨-٢١٠. وانظر: دلالة الصورة في الشعر الحسيني: ٧٨.
(٥٢) ولأبناء شكسبير صولتهم في ميدان الأدب الحسيني، د. نضير الخزرجي.
http://www.alnoor.se/research.asp
(٥٣) نفسه. http://www.alnoor.se/research.asp
(٥٤) الإمام الحسين وعاشوراء من وجهة نظر المستشرقين، رائد علي غالب، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، ٢٠١٢م، أنظر: الملاحق.
(٥٥) ولأبناء شكسبير صولتهم في ميدان الأدب الحسيني. http://www.alnoor.se/research.asp

قائمة المصادر والمراجع

- أبو الشهداء الحسين بن علي، عباس محمود العقَّاد، مصر، د.ت.
- أدب الطف أو شعراء الحسين، جواد شبر، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م.

- استشهاد الحسين، محمد بن جرير الطبري، تحقيق ودراسة: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.
- الإمام الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي، انطوان بارا، دار العلوم، بيروت، ط٥، ٢٠٠٩م.
- إمام علي عليه السلام در انديشه مسيحيت معاصر، هيفا راجي أنور، ترجمة: مرتضى قائمي ونوذر عباسي، همدان، ١٣٨٩هـ.
- البابليات، الشيخ محمد علي اليعقوبي، مطبعة الزهراء، النجف الأشرف، ١٩٥١م.
- رياحين الإمامة، ميشال كعدي، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ٢٠١٣م.
- دلالة الصورة في الشعر الحسيني، صباح عباس عنوز، العراق، كربلاء المقدسة، ٢٠١٣م.
- ديوان القرن الرابع عشر الهجري، محمد صادق محمد الكرباسي، المركز الحسيني للدراسات، دائرة المعارف الحسينية، د.ت.
- ديوان الوائلي، شرح وتدقيق: سمير شيخ الأرض، مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٧م.
- علويات، قصائد من وحي الإمام علي عليه السلام، جوزيف الهاشم، بيروت، ١٩٩٩م.
- عيد الغدير، بولس سلامة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦م.
- قصيدة الحسين عليه السلام يا ابن الكرام، جورج زكي الحاج، ٢٠٠٦م.
- مكاشفات العرّاف، جورج طربية، إتحاد الكتاب اللبنانيين، بيروت، ٢٠٠١م.
- ملحمة الحسين عليه السلام، جورج شكور، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.
- ملحمة الحسين عليه السلام، ريمون قسيس، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ٢٠١١م.

الدوريات:

- آفاق عربيّة، العدد (١٢)، السنة العاشرة، كانون الأوّل، ١٩٨٥م.
- جريدة البيّنات، العدد (٣٩٤)، ٢٠١٢م. لقاء مع الشاعر جورج شكور.
- جريدة الهادي، العدد (٣٢)، السنة الثالثة، كانون الثاني، ٢٠١١م. لقاء مع الشاعر جورج شكور.
- مجلة الرابطة، العدد الرابع، السنة الثالثة، النجف الأشرف، ١٩٧٧م. قصيدة للشاعر خليل خوري.
- مجلة المنبر الكويتيّة، عدد عاشوراء الخاص، محرم، ١٤٢١هـ. لقاء مع المفكر المسيحي انطوان بارا.

الرسائل الجامعيّة:

- الإمام الحسين وعاشوراء من وجهة نظر المستشرقين، رائد علي غالب، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، ٢٠١٢م.